الفصل الأول

تفسير غريب القرآن في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

بدأت هذه المرحلة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان القرآن الكريم ينزل ، ويتلقّاه كُتّاب الوحي بالتسجيل إلى جانب حفظه في الذّاكرة ، وترديده على الألسنة من جانب الصحابة .

وقد يَحْدُث أثناء التّلاوة أن يتوقّف الذّهن عن فهم معنى لفظ من الألفاظ أو إدراك معنى آية من الآيات ، ففي هذه الحالة يتردّد الصحابة على النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ليبيّن لهم ما غمض من الألفاظ ، وما أشكل من الآيات .

وقد وقعت أحداث في بيان مجال هذا الغريب سَجّلَتْها كتب الرّواة ، ومصادر التراث ، ومن نماذجها ما يلي :

١ ـ لما نزل قوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ)[1] قال بعض الصحابة : " وأيّنا لم يَظْلم نفسَه "[2] ، ففسر النبي صلى الله عليه وسلم الظُّلم بالشّرك واستدلّ عليه بقوله تعالى : (إن الشّرك لظلم عظيم)[3]

---

(١) الأنعام : ٨٢

(٢) انظر تفسير الآلوسي ٧ / ٢٠٧

(٣) لقمان : ١٣

٢ ـ حديث عديّ بن حاتم قال لما نزلت : (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِن الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) [١]

قال : عمدت إلى عقال أسْود ، فجعلت أنظر في الليل ، ولا يستبين لي فغدَوْتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرت له ذلك فقال : إنّما ذاك بياضُ النّهار من سواد الليل . [٢]

٣ ـ ومن ذلك الألفاظ الإسلامية ، وهذه الألفاظ كان لها دلالات لُغويّة خاصّة قبل ذكرها في القرآن الكريم مثل الصلاة ، الحج الخ . فبيّنها النبي صلى الله عليه وسلم ووضحها وفصّلها ، لأنها أجملت في القرآن الكريم ، وتوضيح النّبي صلى الله عليه وسلم وتفصيله لهذه الألفاظ كان قولاً وعملاً :

فقد صلّى وقال : « صلّوا كما رأيتموني تروني أصلّي » [٣]

وفي الحج حجّ وقال " : لتأخذوا عنّي مناسِككم ، فإني لا أدْري لعلّي لا أحجّ بعد حَجّتي هذه . " [٤]

٤ ـ الرّبا : حرّمه الإسلام بعد أن كان العرب يتعاملون به في قوله تعالى : (يَـأَيُّـهَا الَّذِينَ آمَـنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِي مِنَ الرِّبَا) [٥]

يقول الطّبريّ في تفسيره : " نزلت هذه الآية في العباس بن عبد المطلب ورجل من بني المغيرة كانا شريكين في الجاهلية . . فجاء

---

(١) البقرة : ١٨٧ (٢) انظر تفسير الألوسي ٢ / ٦٧

(٣) انظر البخاري في بابي : الأذان والأدب (٤) شرح النّووي على مسلم ٩/ ٤٥ ، وفتح الباري ٢٦٤/٣ (٥) البقرة : ٢٧٨

الإسلام ولهما أموال عظيمةٌ في الرّبا ، فأنزل الله : " وذروا ما بقي من الرّبا إن كنتم مؤمنين " (١)

وهذا النوع من الرّبا وضّحه النبيّ صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع حينما قال :

ألا وإنّ ربا الجاهليّة موضوع ، وأول ربًا أضعُ ربانا ، ربا عمّي العباس بن عبد المطلب " (٢)

٥ - (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ) (٣)

قال الطبري بسنده عن أبي سعيد الخُدْريّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : " يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسًا إيمانها " ، قال : طلوع الشمس من مغربها " (٤)

٦ - (وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا) (٥)

روى البَيْهقيّ في " السُّنن الكُبْرى " عن عائشة رضي الله عنها : أنّ أسماء بنت أبي بكر الصّديق دخلَتْ عليها وعندها النبيّ صلى الله عليه وسلم في ثياب شاميّة رِقاق ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأرض ببصره ، وقال : ما هذه يا أسماء ؟ إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلُح أن يرى منها إلاّ هذا وهذا وأشار إلى كفّه ووجهه " (٦)

---

(١) تفسير الطبري ٣ / ٧١
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٨/١٨٢
(٣) الأنعام : ١٥٨
(٤) تفسير الطبري ٨ / ٧١
(٥) النور : ٣١
(٦) " السنن الكبرى " للبيهقي ٧ / ٨٤

٧ ـ (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ) (١)

فظاهر النص أن كل ولد يرث سواء كان قاتلاً أو غير قاتل ، فبيّن النبيّ صلى الله عليه وسلم المراد بالوارث ، وهو الذي لم يقتل مُوَرِّثَهُ ، فقال صلى الله عليه وسلم " لا يرث القاتل " (٢)

٨ ـ (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) (٣)

" فإن الأيدي لم تُقَيَّد في هذا النص بأنها اليمين أو الشمال ، وقد دلّت السنة على تقييدها باليمين ، كما أن القَطْع لم يُعَدِّد فيه بموضع خاص من الأيدي ، ولكن السنّة قيدته بأن يكون من الرُسْغ " (٤)

٩ ـ (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ) (٥)

وقد نسخت السنّة على خلاف بين العلماء هذا الحكم الذي ثبت بالقرآن الكريم في قول الرسول عليه السلام :

" لا وصية لوارث " (٦)

١٠ ـ أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدريّ عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

كُلّ حَرْف في القرآن : القنوت ، فهو الطاعة "

قال السّيوطي معلّقًا :

« هذا إسناد جيّد وابن حبّان يُصحّحه » (٧)

---

(١) النساء : ١١ (٢) انظر أصول الفقه للشيخ زكي الدين شعبان : ٧٦

(٣) المائدة : ٣٨ (٤) المرجع السابق : ٧٦

(٥) البقرة : ١٨٠ (٦) انظر أصول الفقه للشيخ زكي الدين شعبان : ٧٦

(٧) معترك الأقران ٥٦٢/٣

هذا وقد تتبع السّيوطي تفسير النبي صلى الله عليه وسلم لألفاظ غريب القرآن في كتابه " الإتقان "
ابتداء بالفاتحة إلى آخر سورة « الناس » ، وهذه نماذج منها :

نماذج من تفسير غريب القرآن الكريم من النبيّ صلى الله عليه وسلم

١ ـ من غريب سورة الفاتحة :
عن عديّ بن حبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" إن المغضوب عليهم هم اليهود ، وإن الضالين هم النصارى . "(١)

٢ ـ من سورة البقرة : (وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ)(٢)

عن أبي سعيد الخدريّ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
" ولهم فيها أزواج مطهّرة " قال : من الحيض والغائط ، والنخامة والبزاق "(٣) (٤)

٣ ـ من سورة آل عمران : (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ)(٥)
عن أبي الدرداء أن الرسول صلى الله عليه وسلم سُئل عن الرّاسخين في العلم ، فقال : من برّت يمينُه ، وصدق لسانهُ ، واستقام قلبهُ ، وعفّ بطنهُ وفرجهُ ، فذلك من الرّاسخين في العِلْم .

---

(١) الإتقان ٢ :١٩١
(٢) البقرة : ٢٥
(٣) النخامة : النخاع
(٤) البزاق : البُصاق
(٥) آل عمران : ٧

٤ ـ من غريب سورة النساء : (قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ)[1]

عن البراء سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلالة ، فقال : ما خلا الولد والوالد .

٥ ـ من غريب سورة المائدة : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ)[2]

أخرج الترمذي وصححه عن أبي أمية السفياني ، قال : أتيت أبا ثعلبة الخُشَنِي ، فقلت له : كيف تصنع في هذه الآية ؟ قلت : أما والله لقد سألت خبيرًا ؟ سألتُ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بل ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شُحًا مُطاعًا ، وهوىً مُتبعًا ، ودُنْيا مُؤثرة ، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه فعليك بخاصة نفسك ، ودع العوامَ

٦ ـ من غريب سورة الأنعام : (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا)[3]

أخرج الطَّبرَاني عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : هُم أصحاب البِدَع ، وأصحاب الأهواء .[4]

٧ ـ من غريب سورة الأعراف : (وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ)

أخرج الطَّبراني والبَيْهقي وسعيد بن منصور وغيرهم عن عبد الرحمن المُزَنيّ قال : سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال : هم أناس قُتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم ، فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم ، ومنعهم دخول النار قتلهم في سبيل الله .

---

(١) النساء : ١٧٦ (٢) المائدة : ١٠٥

(٣) الأنعام : ١٥٩ (٤) الأعراف : ٤٨

٨ ـ من غريب سورة الأنفال : (وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) [١]

عن عُقبة بن عامر ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر : ألا وإن القوّة الرَّمْيُ .

٩ ـ من غريب سورة التوبة :

أخرج التِّرمِذي عن عليّ قال : سألت رسول الله صلي الله عليه وسلم عن (يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ) [٢] ، فقال : يوم النّحر .

١٠ ـ من غريب سورة يونس :

أخرج مُسلم عن صُهَيب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله : (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) [٣]

الحُسنى : الجنّة ، والزيادة : النظر إلى ربِّهم .

١١ ـ من غريب سورة هود :

أخرج الطبراني قال : لما نزلت : (وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) [٤]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأهلها يُنْصِفُ بَعضُهُم بَعضًا .

---

(١) الأنفال : ٦٠ (٢) التوبة : ٣

(٣) يونس : ٢٦ (٤) هود : ١١٧

١٢ ـ من غريب سورة الرعدّ :

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله : (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ) [١]

قال : ذلك كل ليلة القَدْر ، يَرْفع ، ويَجْبرُ ، ويرْزُق ، غير الحياة والموت والشقاء والسعادة ، فإن ذلك لا يبدّل .

وفي رواية عن عليّ أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال : " لأُقرّنّ عَيْنَك بتفسيرها ، ولأُقرنّ عَيْنَ أُمتي من بعدي بتفسيرها : الصّدقة على وجهها ، وبرّ الوالدين ، واصْطِناعَ المعروف تُحوّل الشّقاء سعادة ، وتزيدُ في العمر .

١٣ ـ من غريب سورة الحِجْر :

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ) [٢]

قال : جزء أشركوا ، وجزء شكّوا في الله تعالى : وجزء غفلوا عن الله تعالى .

١٤ ـ من غريب سورة الإسراء :

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) [٣]

قال : هو المقام الذي أشْفعَ فيه لأُمتّي "

١٥ ـ من غريب سورة الكهف :

أخرج أحمد والتّرمذيّ عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) [٤]

---

(١) الرعد : ٣٩ (٢) الحجر : ٤٤

(٣) الإسراء : ٧٩ (٤) الكهف : ٤٦

التكبير والتهليل ، والتسبيح والحمد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

١٦ ـ من غريب سورة مريم :

أخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن السَّرِيَ الذي قال الله لمريم :

(قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًا)[١] : " نهر أخرجه الله لتشرب منه

١٧ ـ من غريب سورة طه :

أخرج البزار بسند جيد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا)[٢] قال : عذابُ القبر

١٨ – من غريب سورة : " المؤمنون " :

أخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ)[٣]

قال : تَشْويه النار فتقلص شَفَتهُ العليا حتى تصل وسط رأسه ، وتسترخي شَفَتُه السّفلى حتى تضرب سُرَّتَه .

١٩ ـ من غريب سورة النور :

عن أبي أيوب قال : قلت يا رسول الله : هدانا الله السّلام ، فما الاستئناس ؟ (٤)

قال : " يتكلم الرجل بتسبيحَةٍ وتَكْبيرَةٍ ، وتَحْمِيدةٍ ، ويتَنَحْنحُ ، فيؤذن أهـل البيت "

---

(١) مريم : ٢٤ (٢) البقرة : ١٢٤

(٣) المؤمنون : ١٠٤ (٤) من قوله تعالى : " حتى تستأنسوا " آية : ٢٧

٢٠ ـ من غريب سورة الأحقاف :

أخرج أحمد عن ابن عبّاس عن النبي صلى الله عليه وسلم :

(أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ) [١] ، قال : الحظّ .

٢١ ـ من غريب سورة " الذاريات "

أخرج البزّاز عن عمر بن الخطاب قال : (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا) [٢] هي : الرّياح ، (فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا) [٣] : هي السّفن (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا) [٤] : هم الملائكة ، ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما قلته .

٢٢ ـ من غريب سورة الرّحمن :

عن أنس بن مالك قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ) [٥]

وقال : هل تدرون ما قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، يقول : هل جزاء من أنعمت عليهم بالتوحيد إلاّ الجنّة .

٢٣ ـ من غريب سورة الواقعة :

عن عليّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ) [٦] ، يقول : شُكْركم أنكم تكذبون تقولون مُطِرنا بنَوْء كذا وكذا .

٢٤ ـ من غريب سورة " ن " :

أخرج الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أول ما خلق الله القلم والحوت ، قال : اكتب ، ، قال : ما أكتب ، قال : كل شيءكائن إلى يوم القيامة ثم قرأ :

---

(١) الأحقاف : ٤ (٢) الذاريات : ١ (٣) الذاريات : ٣

(٤) الذاريات : ٤ (٥) الرحمن : ٦٠ (٦) الواقعة : ٨٢

(ن وَالْقَلَمِ) [1] والنون : الحوت ، والقلم : العِلم .

٢٥ ـ من غريب سورة " التكوير " :

عن النّعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم :

(وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ) [2] قال : القُرَناء ، كل رجل مع كل قوم كانوا يَعْملون عمله .

٢٦ ـ من غريب سورة الانشقاق :

عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله : ما الحساب اليسير " ؟ [3]

قال : أن ينظرفي كتابه ، فيتجاوز له عنه "

٢٧ ـ من غريب سورة " الفجر"

(وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) [4]

أخرج أحمد والنسائي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم :

قال : إن العشر عشر الأضْحى ، والوتر : يوم عرفة ، والشّفْع : يوم النّحر . [5]

٢٨ ـ من غريب سورة " ألم نشرح " (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)

أخرج أبو يعلى وابن حبّان في صحيحه عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أتاني جبريل فقال : إن ربك يقول : " أتدري كيف رفعت ذكرك ؟ قلت : الله أعلم ، قال : إذا ذكرتُ ذُكِرْت معي . [6]

٢٩ ـ من غريب سورة النصر : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ)

أخرج أحمد عن ابن عباس قال : لما نزلت " إذا جاء نصر الله

---

(١) القلم : ١ (٢) التكوير : ٧

(٣) " فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا : ٨ . (٤) الفجر : ١ ـ ٢ ـ ٣

(٥) الانشراح : ٤ (٦) النصر : ١

والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُعيت إلى نفسي[1]

وبعد في ضوء ما تقدم من هذه الآثار التي رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير غريب القرآن الكريم نتبيّن أن في القرآن الكريم ألفاظًا لا نستطيع أن نفهمها في ضوء وضعها اللغوي كما كانت تفهم في النصوص غير القرآنية في العصر الجاهلي شعرًا أو نثرًا .

والصحابة وهم من هم في التمرّس باللغة العربية ، والنبوغ فيها وقفوا حيالها عاجزين فلجئوا إلى الرسّول صلى الله عليه وسلم ليوضح الغامض ، ويكشف المبهم بمعان ودلالات جديدة لم يكن لهم بها سابق عهد .

ومع ذلك فإن الغريب في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكثر كما تكاثر في المراحل التالية حيث احتكت اللغة العربية بلغة المسلمين الذين لم يكونوا عربًا ، وصعب على غير العرب من المسلمين أن يفهموا الكثير من ألفاظ القرآن الكريم ، ولهذا زادت ألفاظ الغريب بالنسبة لهم ، لأن فهمها لم يكن ميسّرًا ، وحمل لواء تفسيرها وفهمها رجال العصر الذي بدأ بخلافة أبي بكر بعد أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، وهو ما أسميه عصر الصحابة .

---

(١) انظر هذه التفسيرات النبوية لغريب القرآن الكريم في الإتقان ٢ / ١٩١ ـ ٢٠٥